القراءات والأحرف السبعة في القرآن الكريم

د/ ابراهيم قلاتي
كليـــة الآداب و اللغـــات
جامعة قسنطينة

الملخص :

إذا كان القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين فإن العرب أصحاب هذا اللسان قد تفاوتت لهجاتهم في المعنى الواحد و عليه فلا بد أن يكون القرآن الكريم مستجمعا للخالص من هذه اللهجات , ليكمل له معنى الإعجاز ,و ليبسر عليهم القراءة و الحفظ و الفهم, لذلك نزل على سبعة أحرف كما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري و سلم عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.غير أن هذه الأحرف السبعة قد اختلف العلماء في تفسيرها اختلافا كبيرا, و قد بقي هذا الاختلاف قائما إلى يوم الناس هذا, و الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الشأن هي:

-هل الأحرف السبعة هي القراءات السبعة كما يرى بعضهم؟

-هل المصاحف العثمانية جمعت على الأحرف السبعة أم أنها جمعت على حرف واحد فقط؟

-كيف يكون التفريق بين الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن و القراءات السبع التي أصبح يقرأ بها؟

Résumé:

Le livre saint de l'Islam sera compile et unifié par le calife Musulman: Othmane -Ibnou-Affane transcrit sur celui détenu par Hafsa fille de Omar-Ibnou-El-khattab, et femme du prophète (QSSL), et agree par tout le monde islamique.Cependant les nuances existantes entre les dialects arabes ont influence sur l'intreprétation des versets coraniques, tout en mettant en evidence que la revelation su Coran s'est traduite par la langue arabe incluant tous ces dialects d'ou l'apparition de la notion:des SEPT letters particules en Coran, et qui-au demeurant-constituent des nuances d'interprétation chez les savants en la matière, et qui persistent à nos jours, impliquant les question suivantes:

-Ya-t-il Similtitude entre les<sept lectures> et les<sept letters particules>?

-le livre Saint du Coran fut-il compile à partir des sept letters oud'une seule?

-Peut-on-faire la difference et les nuances existantes entre les <sept letters particules> par lesquelles le coran fut révélé, et les <sept lectures appliqués de nos jours?

نزل القرآن الكريم منجما على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فكان كتبة الوحي يدوّنون ما سمعوا محاولين تسجيل كل ظواهره اللغوية ، فلم يهملوا منه حرفا ولا رمزا ولا إثباتا ولا حذفا ولا دخل عليهم في شيء منه ولا وهم [1] . بالإضافة إلى أنهم كانوا يسارعون إلى حفظه في صدورهم ، فقد ذكرت كتب السير والسنن أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن الكريم ويحفّظونه أبناءهم ، ويرتّلونه في جوف الليل ، وإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يشجعهم على مدارسته واستظهاره.

وقد برز من الصحابة حفاظ مهرة للقرآن الكريم ، ذكر البخاري سبعة منهم [2]، وهم :

- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
- سالم بن معقل مولى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .
- معاذ بن جبل رضي الله عنه .
- أبي بن كعب رضي الله عنه .
- أبو زيد بن السكن رضي الله عنه.
- أبو الدرداء رضي الله عنه .

وقد كان لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – كتاب للوحي من أجلّ الصحابة، كعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت .رضي الله عنهم أجمعين ، كانت تتنزل الآيات فيأمرهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

بكتابتها ويرشدهم إلى موضعها من سورتها ، حتى تضاهي الكتابة في السطور الجمع في الصدور [3] .

كما كان بعض الصحابة يكتبون بعض ما تنزل منه من تلقاء أنفسهم فيخطونه في جريد النخل وصفائح الحجارة والسعف والجلد وأقتاب الخشب وغير ذلك.

لكن القرآن الكريم لم يكن مجموعا على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مصحف واحد ، ولعل السبب في ذلك هو ماكان يترقبه النبي من ورود الناسخ لبعض الأحكام والتلاوة ، فمادام ذلك متوقعا فلا يتناسب أن تكتب آيات القرآن وسوره مرتبة ترتيبا في موضع معين واحد ، قال الزركشي : ((وإن لم يكن في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في أي وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم))[4].

وبهذا يفسر ما أوردته كتب علوم القرآن من أن القرآن الكريم لم يجمع على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في مصاحف ، وذكرت اعتبارات عديدة لذلك[5].

أي أنه محفوظ في الصدور ومكتوب على نحو ما سبق : مُفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط ، و كل سورة في صفيحة على حدة بالأحرف السبعة الواردة ، ولم يجمع في مصحف واحد شامل ، لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– كان يرتقب نزول الوحي من حين لآخر . فلما آلت الخلافة إلى أبي بكر –رضي الله عنه –قام بجمعه في مصحف واحد ، وانتقل هذا المصحف إلى أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه– ثم إلى ابنته حفصة (أم المؤمنين) ، ومن هذا المصحف استنسخ عثمان بن عفان –رضي الله

عنه- المصحف الإمام ، ونقلت منه مصاحف الأمصار : البصرة والكوفة والشام والمدينة ومكة واليمن والبحرين [6].

واجتمعت الأمة على قبوله المصحف الشرعي الوحيد [7] ، روى البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنهما – قال : ((إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل (عثمان) إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف)) .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال زيد بن ثابت : ((لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عليهِ** ﴾))[8].

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت ، فعلى القرآن أن يكون مستجمعا للخالص من هذه اللهجات ليكمل له معنى الإعجاز ، ولييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

((قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: « **أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف** »)) أخرجه البخاري ومسلم .

واختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافا كبيرا ، حتى قال الزركشي نقلا عن الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي : إن الناس اختلفوا فيها على خمسة وثلاثين قولا [(9)] وقال السيوطي : أربعين [(10)] ومرد هذا الاختلاف –على ما يظهر– إلى المعنى ، لأن الحرف في اللغة يصدق على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة ، وهناك من يرى غير ذلك [(11)] ، ويرد ابن قتيبة هذه الآراء المختلفة إلى التأويل الخاطئ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : « **نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقرءوا كيف شئتم** » [(12)].

قال ابن قتيبة : ((وقد غلظ في تأويل هذا الحديث القوم فقالوا : السبعة أحرف : وعد، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج . وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة .وقال قوم : حلال ، وحرام ، وأمر ونهي ، وخبر ماكان قبل ، وخبر ما كان هو كائن بعد ، وأمثال))[(13)].

ثم يخلص ابن قتيبة إلى القول بأن تأويل هذا الحديث هو أن القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات المتفرقة في القرآن الكريم ، بدليل أن الرسول –صلى الله عليه وسلم –

قال: « **فاقرءوا كيف شئتم** » [14]. والثابت من كل ذلك هو التسيير والإعجاز القرآني الحكيم العظيم الكريم .

فالتيسير على الناس مقصد الشارع الحكيم ، يتفق مع جوهر الدين الإسلامي الحنيف في شمولية دعوته ، كما يتفق مع طبيعة المجتمع البشري في تمايز أجناسه بالتنوعات اللهجية ، وبتميز فئاته بالفوارق الصوتية ، فلا يقدر الحجازي أن يتخلى عن التسهيل في النطق ، ولا التميمي أن يتخلى عن نبرة الهمزة ، ولا القرشي عن التفخيم ، ولا البدوي عن الإمالة ...إلخ.

وهناك من يرى أن المراد بالأحرف السبعة : وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف [15]وهي :

<u>الوجه الأول :</u> اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعها

ومن ذلك مثلا قوله تعالى : ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ المؤمنون8.

فقد قرئت الآية (لأمنتهم) بالإفراد وقرئت "لأمانتهم " بالجمع .

فمن قرأها بالجمع يريد به الاستغراق الدال على الجنس ، ومن قرأها بالإفراد يريد به الجنس الدال على الكثرة .

<u>الوجه الثاني :</u> الاختلاف في وجوه الإعراب

من ذلك قوله تعالى في سورة يوسف الآية :31 : ﴿ ماهذَا بَشَرًا }.﴾

قرئ (بشرا) بالنصب على لغة الحجازيين ، وقرئ على (بشر) بالضم على لغة بني تميم . ذلك أن بني تميم يهملون (ما) التي تعرب عند النحاة بـــ (ما الحجازية) إذ تعمل عمل (ليس) عند الحجازيين ولا تعمل عند بني تميم .

الوجه الثالث : الاختلاف في التصريف

من ذلك مثلا قوله تعالى في سورة سبأ الآية 19 : ﴿ربَّنَا بَاعِدْ بيْنَ أسفَارِنَا ﴾.

قرئت (ربَّنَا بَاعِدْ) وقرئت (ربنا بعَّدْ) ، وقرئت (رَبُّنَا بَاعَدَ).

الوجه الرابع : الاختلاف في التقديم والتأخير

من ذلك مثلا : ﴿ فيقْتُلُونَ و يُقْتَلونَ﴾ / ﴿فَيُقْتَلُونَ و يَقْتُلُونَ ﴾ في الآية : 111 من سورة التوبة .

الوجه الخامس : الاختلاف في الإبدال

من ذلك قوله تعالى : ﴿وانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ البقرة :295.

قرئت (نَنْشُرُهَا) بـــ (الراء) .

الوجه السادس : الاختلاف في الزيادة والنقصان

فالزيادة كما في قوله تعالى :﴿وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهارُ﴾ التوبة : 100.

قرئت بزيادة (من) (من تحتها)

والنقص كما في قوله تعالى: ﴿وقالوا اتَّخَذَ اللهُ ولدًا ﴾ البقرة : 116 .قرئت (قالوا .....) بحذف الواو .

الوجه السابع : اختلاف اللهجات

بالتفخيم والترقيق والإمالة والإدغام والهمز والتسهيل والإشمام ....إلخ .

-الإمالة مثل : ﴿ وهلْ أتاكَ حديثُ موسى ﴾ طه : 9 (وهلْ آتيك).

- الإدغام مثل : ﴿خبيرًا بصيرًا ﴾ إدغام الراء في الباء .

- التفخيم والترقيق مثل : ﴿أفَتُمَارُونَهُ على مَا يَرَى﴾ على ما يري.

- الهمز والتخفيف مثل : ﴿ قَدْأَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ﴾ (قدأفلح الومنُونَ) .

ويبقى اختلاف العلماء في تحديد المراد من الأحرف السبعة المذكورة في الأحاديث الصحيحة قائما إلى يومنا هذا ، وحتى الذين اجتهدوا – في عصرنا هذا – وأرادوا أن يحددوا المراد منها ، يعترفون بأنهم لا يستطيعون أن يجزموا بتحديد معين[16] ، وكثرت الأقوال المتضاربة فيها حتى بلغت عند بعضهم أربعين وجها كما رأينا [17] .

فقد ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع ، وقال آخرون: إن العدد (سبعة) رمز إلى الكمال وبلوغ الذروة . وذكر بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة ، أحكام سبعة هي : الأمر ، النهي ، الوعد والوعيد ، الجدل ، القصص ،المثل .أو هي : الأمر ، النهي ، الحلال ،الحرام، المحكم ، المتشابه والأمثال .

ولعل الذين رأوا هذا الرأي اعتمدوا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى

حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ،ومتشابه وأمثال))[18].

والذين قالوا باللغات السبع اختلفوا أيضا في هذه اللغات ، فقيل هي لغات : قريش وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وقيل هي : قريش ، وهذيل ، وتميم ، والأزد، وربيعة ، وهوازن ، ومعدي كرب .وقيل غير ذلك ، لكنهم يجمعون كلهم على أن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف فيه توسعة على المسلمين وتخفيف على العجوز والشيخ الكبير [19] ، وحيث مكن كل واحد منهم من أن يقرأ على طريقته في اللغة بلا مشقة ولا عناء ، لأنه قد يجد مشقة في النطق بغير لهجته ، وأفضل ما قدم من دراسة – في رأينا– حول الأحرف السبعة هو ما جاء في كتاب المرشد لأبي شامة الدمشقي .

والسؤال الذي يبقى يطرح نفسه : هل المصاحف العثمانية جمعت على الأحرف السبعة أم أنها جمعت على حرف واحد فقط ، خصوصا وقد ظهر بين هذه النسخ اختلاف في القراءات لبعض الآيات؟! .

فبما أن رسم هذه النسخ –كما يقول ابن الجرزي (ت 833) – قد جردت جميعها في النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي – صلى الله عليه وسلم –وإذا كان الاعتماد على الحفظ لا مجرد الخط [20] فإن الاختلاف الذي حدث بين النسخ هو اختلاف القراءات في لغة واحدة أي حرف واحد ، ومن ثم فإن القراءات –كما يقول بعضهم – جميعا مندرجة في حرف واحد من الأحرف السبعة وهو الحرف الذي جمع

عليه عثمان المصحف [21]وهذا –كما هو معلوم – مذهب ابن جرير الطبري ومن تبعه حيث رأوا أن هذه الأحرف السبعة كانت في صدر الإسلام منذ أيام الرسول – صلى الله عليه وسلم –إلى أن قام عثمان بتوحيد الأمة على مصحف واحد بحرف واحد [22]، ومنه نستنتج أن القراءات غير الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم والتي ذكرت في الحديث الصحيح الذي ينص على أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف [23].

ولعل أحسن شرح للتفريق بين القراءات القرآنية والأحرف السبعة هو ما قام به أبو شامة الذي يقول في كتابه (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز) : ((وقد ظن جماعة من لا خبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرف , ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد ..أنه قال ذلك)) [24]. ولقد أورد الطبطبائي – محقق المرشد – أربعة أسباب تبطل الادعاء بأن الأئمة السبعة هي الأحرف السبعة فأنظرها .

إذن فالقراءات ليست هي الأحرف السبعة ، سواء أكان المصحف العثماني قد وجه على حرف واحد أم أنه اشتمل على ما يحتمل رسمه من الأحرف السبعة، فلقد رأينا جمهور العلماء يميلون إلى القول بأن المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة [25]، وحجتهم في ذلك أنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء

منها .إذا صح ذلك فمعناه أن الصحف التي كانت عند أم المؤمنين حفصة رضي الله تعالى عنها قد جمعت الأحرف السبعة ومنها نقلت المصاحف العثمانية .

والجدير بالذكر أن هذا الخلاف حول الأحرف السبعة والمصاحف العثمانية بقي قائما إلى اليوم ،وقد تناولته كتب علوم القرآن الكريم بوجوه مختلفة ، غير أنه لم ولن يضر كتاب الله في شيء ، ولم ولن يؤثر في تلاوته ولا في فهمه فهما صحيحا ، وإذا كان البعض يرى أن هذا الخلاف قد أوقع شبهات كثيرة حول كلام الله تعالى (القرآن الكريم) استغلها بعض المغرضين وأعداء الدين [26]، فإن الله تعالى قد أعد لكتابه هذا علماء أجلاء أزالوا عنه كل شبهة ، وأقاموا حوله بحوثا ودراسات تطمئن النفس وتثلج الصدر ، بل نرى – في كل عصر– ينبري من هذه الأمة من يفهم كتاب الله فهما جديدا انطلاقا مما فهمه مَنْ سَبَقَه، وكأن الله تعالى أراد لهذه الدراسات والبحوث المتواصلة – على كثرتها– أن تكون فسحة دراسية ممتعة يستمتع بها المؤمنون وتستفيد منها الأجيال على مر العصور ، ذلك أن القرآن هو الرسالة الخالدة والمعجزة الدائمة ولا تنقضي عجائبه.

الهوامش:

(1) – كل كتب علوم القرآن تقف عند هذه القضية بإعجاب كبير ،أنظر مثلا كتاب مناهل العرفان للزرقاني ص 239 وما بعدها .

(2) –انظر كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وذكر في صحيحه أيضا أربعة من الأنصار وهم : أبي ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وزيد بن ثابت .انظر جـ 5 ص 45.

وروي عن الشعبي أنه قال : ((جمع القرآن على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –ستة من الأنصار : أبي بن كعب ، وزيد بن الحارث ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد)) . انظر البرهان للزركشي 305/1 ط . دار الفكر .

(3) – لقد بسط هذا الموضوع في كتب علوم القرآن القديمة والحديثة ، انظر على سبيل المثال : الاتقان 223/1 ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص 65 ، ومناهل العرفان ص 236 .

(4) – البرهان جـ1 ص 331 وفي موضوع آخر يقول : ((فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف)) نفسه ص 297.

(5) – انظر على سبيل المثال ما ذكره الزرقاني في كتابه مناهل العرفان ص 241.

(6) – انظر مناهل العرفان ص 242.

(7)– النشر في القراءات العشر 1/ 7 ط . دار الفكر .

(8) – صحيح البخاري جـ 6ص 146 ومن ثم ألحقت هذه الآية 33 في سورتها بالمصحف .

(9) – البرهان 271/1 ط.دار الفكر .

(10)– الإتقان 145/1.

(11) – مباحث في علوم القرآن ص 101 .

(12) – لقد روى هذا الحديث من عدة وجوه ينظر من ذلك مثلا صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن وسنن أبي داوود كتاب الصلاة .

(13) – انظر تأويل مشكل القرآن مشكل القرآن ص 33.

(14) – المصدر نفسه ص 34.

(15) – انظر الإتقان 146/1 .

(16)– من هؤلاء مثلا الدكتور صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن انظر ص 109 وما بعدها .

(17) – كما رأينا في الإتقان للسيوطي ، والبرهان " خمسا وثلاثين وجها " 212/1 .

(18) – أخرجه الحاكم والبيهقي .

(19) – روى الترمذي عن أبي بن كعب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقي جبريل فقال له : ((يا جبريل إني بعثت إلى أمة الأميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط ، فقال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)).

(20) –النشر 7/1.دار الفكر .

(21) – انظر تفسير القرطبي 46/1 .

(22)– انظر مناهل العرفان 161/1للزرقاني .

(23) – تصريح الرسول – صلى الله عليه وسلم – بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف مذكور في أحاديث كثيرة مروية بطرق مختلفة وأوضح هذه الأحاديث ما ذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقصته مع هشام بن حكيم رضي الله تعالى عه والذي رواه البخاري ومسلم .

(24) – انظر ص 337 من تحقيق الطبطبائي ولقد تبنى المتأخرون رأي أبي شامة هذا فانظره . انظر الإتقان 250/1 وكذا : مباحث في علوم القرآن ص 247.

(25) – انظر مباحث في علوم القرآن ص 102 ، ولقد تناول د/ صبحي الصالح في هذا الكتاب كيف جاءت فكرة الجمع بين القراءات السبع والأحرف السبعة وما فعله ابن مجاهد حتى توهم الناس أن القراءات هي الأحرف السبعة، فأنظره.

(26) – ومن الذين استغلوا هذه المسألة بعض المستشرقين ، انظر على سبيل المثال ما ذكره الدكتور صبحي الصالح في كتابه (مباحث في علوم القرآن) ص104.